نساء في الإسلام

* * *

فاطِمَةُ بِنْتُ الخطَّاب

رَضِيَ اللَّهُ عنها

نجلاء شوقي حسن

فاطمةُ بنتُ الخطّاب

هى فاطمةُ بنتُ الخطّابِ بنِ نُفَيل ، أحدِ كبارِ وأشرافِ بنى مَخزومٍ فى قُرَيش .
نشأتْ فاطمةُ بينَ أهلِها وعَشيرتِها ، وتَحلَّت بالفَضائلِ العَربيَّة ، إلى جانبِ القُوَّةِ فى تَكوينِ شَخصِيَّتِها .

بَلغت فاطمةُ واكتملَ شَبابُها ، خَطَبَها قَريبٌ لها اسمُهُ سَعيدُ بنُ زَيدِ بنِ عَمرو ، ومن ثَمَّ اقترَنَ بِها واتَّخذا لهما بَيتًا فى قُرَيش ، وكانتْ فى حَياتِها سَعيدةً هانِئة .

ذاتَ يَومٍ الْتَقى سَعيدٌ بصَديقِهِ خَبّابِ بنِ الأَرَتّ ، وكانتْ بينَهما صَداقةٌ وَثيقَةٌ حَميمَة .

وكان خَبّابٌ ـ رَضِيَ اللّه عَنه ـ من المُبَشَّرينَ بالجنّة ، الّذينَ حَملوا الدَّعوةَ إلى اللّه ، ومن الّذينَ وَكَلَ إليهم رَسولُ اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ أمرَ الإسْلام ، بعد أن فَقِهوهُ وانْطَبَعوا بهِ في بِدايَةِ الدَّعوَة .

أخبرَ خَبّابٌ صَديقَه سَعيدا بإسْلامِه ، وحدَّثَهُ عن الدّينِ الّذى يَدعو إليه مُحمَّدٌ فأقنَعَه .

وذهبَ سَعيدٌ إلى رَسولِ اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ فأسلم بَين يَدَيه ، وقال : أَشهَدُ

أنْ لا إلَهَ إلاّ اللّه ، وأشهَدُ أنَّ مُحمَّدًا رَسولُ اللّه .

فلمَّا عادَ سَعيدٌ إلى البَيْت ، أخبرَ زَوجَتَه بما جَرَى وما أقدمَ عليه ، وأخبرَها فى سُرورٍ عن لِقائهِ برَسولِ اللّه ، وما شَعرَ به سَعيدٌ فى هَذا اللّقاء ، فقالَتْ له فاطِمةُ فى شَوْق : وإلَى ماذا يَدعو دينُ مُحمَّد ؟

فأخذَ يَشرَحُ لها بعضَ ما سَمِعَه من رَسولِ اللَّه - صلَّى اللّه عليه وسلّم - الّذى جاءَ بنُورِ الحقّ ليُبدِّدَ ظلامَ الجاهِلِيَّة .

كانتْ فاطِمةُ بنتُ الخَطّابِ تَسمَعُ زَوجَها سَعيدا ، وتَطلُبُ منه أن يُخبِرَها بالمَزيدِ فى

شَوْق ، وهـى تُصغى إليـه بكُـلِّ جَوارِحِهـا ، وتفكِّرُ بعَقلِها فى كلِّ ما يُقال .

أرادتْ فاطِمةُ بنتُ الخَطّابِ أن تَرَى رَسولَ اللَّه ـ صلَّى اللَّه عليه وسـلَّم ـ فطلبتْ من زَوجِها سَـعيدٍ أن يَأخُذَهـا إليـه ، فأخذَهـا سَعيد .. وعندَ رَسولِ اللَّهِ أسـلَمتْ فاطِمـة ، وشَهِدتْ بالشَّهادَتَيْن ، ودخـل نـورُ الحـقِّ قَلبَها .

وكـان مـن يُسلِمْ مـن النّـاسِ فـى ذلـكَ الوقت ، ويَتَّبِعْ دينَ مُحمَّد ، يَحرِص على ألاّ يَشيعَ خبرُ إسْلامِه ، خوفًا مـن المُشرِكينَ

وبَطشِهم ، وكانَ بينَ المشركينَ عمرُ بنُ الخَطّاب ، شَقيقُ فاطِمَة ، وكان مَعروفًا بقُوَّتِهِ وبَطشِه ، وسُرعَةِ غَضَبه .

ذاتَ يَوم ، رأَى عُمرُ أنْ لا بُدَّ من حَسمِ الأَمرِ بقَتلِ مُحمَّد ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ فإنّه لَمْ تُجدِ الاِجتِماعاتُ ولا المَشوراتُ في بُطونِ قُريْشٍ يَومًا بعدَ يَوم ، فرأَى حتمِيَّةَ الحَلِّ العَمَلِيّ . وضَرورَةُ حَسْمِ المَوقِف تَقتَضي القتلَ ولا شيءَ غيرَه ، فخرجَ عُمر مُتوشِّحًا بسَيفِه ، يُريدُ رَسولَ اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ ورهطًا من أصْحابِه ، ذُكِرَ له أنّهم اجْتَمعوا بدارِ الأرْقَم عِندَ الصَّفا .

وفيما هو فى طَريقِه ، لقِيَه نَعيمُ بنُ عبدِ اللَّهِ فسأَلَه :

– أينَ تُريدُ يا عُمَر ، وأراكَ غاضِبًا ثائرا ؟

قالَ عُمر : أُريدُ مُحمَّدًا هذا الصّابِئَ الّذى فرّقَ أمرَ قُرَيش ، وسفَّهَ أحلامَها ، وعابَ دينَها وسَبَّ آلِهَتَها .. فأَقْتُلَه .

قال نَعيم : واللّهِ قد غرّتكَ نفسُك من نَفسِكَ يا عُمر .. أتَرى بنى هاشمٍ تارِكيكَ تَمشى على الأَرضِ وقد قَتلتَ مُحمَّدًا ؟ أفَلا ترجِعُ إلَى أهلِ بَيتِكَ فتُقيمَ أمرَهُم ؟

قالَ عُمرُ فى دَهشَة : وأىُّ أهلِ بَيتى ؟

قالَ نَعيم : ابنُ عَمِّكَ زَوجُ أُختِك سَعيد ،

وفاطِمَـةُ أُختُـك ، فقـد واللّـه أسْلَما وتابَعـا مُحمَّدًا على دينِه .. فعليكَ بهِما .

قـالَ عمـر : أوَقَـدْ فَعـلا ذلـك ؟ لَئـن فَعـلا لأَقتُلَنّهما .

ثم مضَى مُسرعًا نَحو بَيـتِ أُختِـهِ فاطِمَـة ، وقبلَ أن يَطرُقَ بـابَ البَيـت ، سَـمِع أصْواتًـا تُردِّدُ كَلِماتٍ يَسمَعْها من قَبل .

كان خَبّابُ بنُ الأرَتّ ـ رضِيَ اللّه عنـه ـ في ذَلكَ الوَقتِ عندَ سَـعيدٍ وفاطِمَـة ، ومعه صَحيفَةٌ يُقرِئهُما فيها سورَةَ « طهَ » .

طرقَ عمرُ البابَ وهو يُنـادى علـى أُختِـه .

فلمّا سَمِعوا صوتَ عُمر ، اختَفى الخَبّابُ فى

مَخدَعٍ لَهم ، وأخفتْ فاطِمةُ الصَّحيفةَ من فَورِها ، ثُمَّ أسرَعتْ تَفتحُ بابَ البَيتِ لأَخيها .

فلمّا دخلَ عُمرُ على أُختِهِ وزَوجِها سَعيد ، سألَهُما عن تِلكَ الكَلِمَاتِ الّتى يَتبَيَّنْها جيِّدا ..

فقالا له : ما سَمِعنا شَيئا ..

قالَ عُمر : إنّكما تكذِبان ، فقد أُخبِرتُ أنّكما تابَعتُما مُحمَّدًا فى دينِه .

وهجمَ عمرُ على صِهرِه سَعيدٍ وصَفعَه وألقاهُ على الأرض ، فجُرِحَ وَجرت دِماؤه .

فقامتْ فاطِمةُ لتُدافِعَ عن زَوجِها ، وتقِفَ

حـائِلا بينَـه وبَـينَ عُمَـرَ الغـاضِبِ تَمنَعُـه ، فضرَبَها وجرت دِماؤها هىَ الأُخرَى .

قالا له فى تَحدٍّ وقُوَّة : نعم لقـدْ أسْلَمنا وآمَنّا باللَّهِ وبمُحمَّدٍ رَسولِه ، فاصنَع ما بَـدا لك .

وقف عُمرُ حائِرا وهـو يَرى منظَـرَ الدِّماءِ تَسيلُ مـن فاطِمـةَ وسَعيد ، وصمودَهمـا أمامَـه ، واعْتِرافَهُمـا دونَ خَـوفٍ أو خَشـيَةٍ باتّباعِهما دينَ مُحمَّد . أثَّـرَ هـذا الموقِـفُ فى عُمر ، ونَدِمَ لتسرُّعِه ، فقـالَ لأُختِـهِ فاطِمَـة : أعطينى هذه الصَّحيفَةَ الَّتى تَقرَءون ، أنظـرُ

ما هذا الّذى جاءَ به مُحمَّد .

قالتْ فاطِمة : إنّا نَخشَى عليها مِنك أن تُمزِّقَها .

قالَ عُمر : لا تَخافى يا فاطِمَة .

ووعدَها أن يَردَّها إليها .

قالتْ له : ولكنَّ هذا القُرآنَ لا يَمسُّه إلاّ المُطهَّرون .

فقامَ عمرُ فاغتسلَ بالماء ، فأعطَتهُ فاطِمةُ الصَّحيفَةَ فقَرأها .

قرأَ عُمرُ القُرآنَ وتَمعَّن فى كَلِماتِهِ جَيِّدا ، ثمَّ قال : ما أجملَ هذا الكلامَ وأكرَمه . إنّه كلامٌ لا يَأتى من بَشَر .

فعندما سَمِعَه خَبّاب ، خرجَ من مَخبَئِه الّذى توارى فيه ، ثمَّ قال لعُمر : يا عُمر : إنّى لأرجو منَ اللَّهِ أن يكونَ قد خصَّكَ بدَعوَةِ نَبيِّه ، فإنّى سَمِعتُهُ أمْسِ وهو يَقول : اللَّهمَّ أيِّد الإسْلامَ بأبى الحَكمِ بنِ هِشام ، أو بعُمرَ بنِ الخطّاب . فاللّهَ اللّهَ يا عُمَر .

قالَ عُمر : دُلّنى يا خَبّابُ على مُحمَّد ، حتّى آتيهِ فأُسلِم .

وصدقَ عمَرُ وأسلَم بينَ يَدىْ رَسولِ اللَّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ وكانَ إسلامُهُ كما قالَ عَنه رَسولُ اللَّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ فَتحا .

والحديثُ يَطولُ عن إسْلامِ عُمـر ــ رضِىَ اللّهُ عنه ــ ولكن لا نَنسَـى دورَ فاطمـةَ بنتِ الخَطّاب ــ رضِىَ اللّه عَنهـا ــ ومَوقِفَهـا الإيمانىَّ القَوِىّ ، وتَصَدّيهـا لأخيها عُمَرَ بنِ الخَطّـاب ، الّـذى كـان لـه الأَثـرُ الأوّل ، فتلاشَى جَبرَوتُه وكِبرِياؤه ، واهتَزَّت ثِقَتُـه بمُعتَقداتِـه ، أمـامَ صَلابَـةِ مَوقِفِهـا وإيمانِهـا وإسْلامها .

وكـانتْ فاطِمـةُ من المؤمنـاتِ المُسـلِماتِ الأَوائل ــ رضِىَ اللّـه عَنهـا ، وتَحمَّلتْ هـى وزَوجُها قَسوةَ العَيشِ والمُعانـاةَ الّتـى أصـابَتِ المُسلِمين ، من كفّارِ قُريـش ، وهـاجَرتْ مـع

المُهاجِرينَ إلى الحَبشَة ، ثمَّ عادت وزَوجُها إلى المَدينَة ، وكانتْ فى استِقبالِ رَسولِ اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ مَعَ المُهاجِرينَ والأنصار ، عندَ قُدومِهِ إلى المَدينَة .

وكانتْ فاطمةُ بنتُ الخَطّاب ـ رضِيَ اللّه عنها ـ تَحضُرُ مجالِسَ العِلمِ والفِقه ، وتَستَمع إلى أحاديثِ رَسولِ اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ فروتْ بعضَ الحَديثِ عن رَسولِ اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ وكانت الزَّوجَةَ المؤمِنَةَ الصّابِرَة ، حين استُشهِدَ زَوجُها سعيدُ بنُ زَيدٍ فى سَبيلِ اللّه ، فى إحدَى مَعارِكِ المُسلِمين .

وعاشَــتْ حياتَهــا عــابِدَةً شــاكِرة ، ناصِحَــةً ساعِيةً للخَير ـ رضِىَ اللّٰه عَنها ـ .